تقنية القناع فى شعر عمر أبوريشة

ناهدة فوزى

أستاذه مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية فرع تهران مركز، إيران.

فريبا صادقى مرشت

طالبة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فرع تهران مركز، إيران.

Fawzinaheda@yahoo.com

الملخص

لقد جرّب الشاعر السورى المعاصر عمر أبوريشة، المدارس الأدبية الكلاسيكية والرومانتيكية جاعلاً بذلک التراث القيم للشعر العربى مرتكزا له ومضى قدما فى مسيرته التكاملية الشعرية مستخدما أساليب وتقنيات الشعر الغربى، كما جرّبَ اللغة الرَّمزية وتقنية القناع فى قصيدته الخالدة "النسر" من خِلال رَحلاته العديدة ودراسته لأعمال الأدباء الغربيين مستلهماً مِن شعراء الرمزية، بمن فيهم الأمريكى إدغار آلن بو والفرنسى تشارلز بودلر.والنسر استخدم منذ العصر الجاهلى وإلى الآن فى الأدب العربى كرمز للقوة والكبرياء، ويعتبر فى هذه القصيدة مصداقاً للعديد من الرموز.فهو يرمز من جهةٍ إلى السموّ الذاتى للشاعر ومقدرته الفائقة على مواجهة الصعاب وخيبات الأمل، ومن جهةٍ أخرى فهو رمز الشعب السورى وكذلک قناع للوطن العربى بوجه عام.لذلک فقد ارتأينا أن نختار هذه القصيدة التى تعكس هاجس الحداثة لدى الشاعر، فى سبيل النقد والدراسة.

الكلمات الدليلية: عمرأبوريشة، الحداثة، الرمز، القناع، النسر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المقدمة

استند عمر أبوريشة (١٩١٠-١٩٩٠م) خلال بحثه عن مكانته فى الوسط الأدبى، إلى التراث الثقافى الوطنى والإنسانى من جهة، وتأثر من جهة أخرى بشعراء رمزيين مثل إدغار آلن بو (١٨٠٩-١٨٤٩م) وتشارلز شارل بودلر (١٨٢١-

١٨٦٧م) لينال فى بعض قصائده مكانة رفيعة فى الشعر السورى المعاصر.

وسعى جاهدا للمضى قدما على طريق نمو وديناميكية لغته الشعرية ليتسم شعره بالصلابة والتماسک والوحدة الموضوعية والعضوية مستفيدا من التقنيات الحديثة.

وقد أبرز أبوريشة عواطفه ومشاعره من خلال الاستلهام من رمزية النسر فى المثل العربى الشهير "إن البغاث بأرضنا يستنسر" واستعمال العديد من الاستعارات التى تدلل على رؤية الشاعر تجاه هذا الطائر. كما أنه كتب قصيدته الخالدة "النسر" عام ١٩٣٨م، متاثراً بالتوجهات الرمزية للقصيدة الشعرية القصصية الشهيرة "الغراب" لآلن بو وقصيدة "بطرس" لبودلر.

ويقوم الشاعر فى قناع النسر وببراعة بتبيان الشعور بالغربة وهاجس وحدة الإنسان المعاصر فى المجتمع الحديث من جهة، والبيئة الاجتماعية الحديثة التى تريد عزله وهجره من جهة أخرى ليكون بذلک قد جرب لغة القناع الرمزية وتقنياته.

وبناء على ذلک، فإننا فى هذا المقال بصدد توضيح سبب خلود وبقاء هذه القصيدة من خلال نقد ودراسة الهيكلية والمضامين العامة للقصيدة وكذلک التحليل التفصيلى لأبياتها.

نقد ودراسة قصيدة النسر بإيجاز

لقد كان النسر فى التراث العربى القديم، رمزاً لطول العمر والقوة، وفى هذا العصر اعتبره الشعراء رمزا للمجد والشموخ والكبرياء كما إنّ المثل الشهير "إنّ البغاث بِأرضنا يستنسُر" أى إنّ الطيور الصغيرة والتافهة التى تتصور بأنها قوية كالنسر الجارح، هو كناية عن الضعفاء الذين يدّعون بأنّهم أقوياءٌ. (محبک، ٢٠٠٦م، ١٢٢؛ دندى، ١٩٨٨م: ٧٣٩)

وكان عمر أبوريشة يسعى جاهداً للإفادة من كلا التعبيرين.فهو يعكس فى قصيدة النسر القصصية وهى قصيدة رمزية، على خلفية النسر، علو وسمو روحه من جهة، ويرسم من جهة أخرى ومن خلال المثل العربى الشهير، وبجمالية تامة التعارض السائد بين قوة وكبرياء الزمن السالف والذل والهوان الذى يعانى منه عصره الحاضر بوجه خاص، والإنسان العربى بوجه عام. (دندى، ١٩٨٨م: ٧٣؛ خليل، ١٩٩٧م: ١٠٣) ويبدأ القصيدة من نقطة ذروة القصة ويرسم تأسيسا على الافتراضات المعروفة عن رمزية النسر فى الأدب، نسرا، نُفى وأبعد من منشئه وموطنه الأوليين ومن أعالى القمم الشامخة إلى الحضيض، ليستسلم الآن للحياة المذلة التى فرضت عليه.ويستعمل الشاعرالنسر، كرمز لتبيان مشاعره الباطنية تجاه وضعه الحالى ووضع مواطنيه وكذلک وضع العالم العربى بنظرة عامة ويتحدث فى الختام عن تفضيل الموت بعزة وكرامة على الحياة بذل وهوان. (العظمة، ٢٠٠٦م: ٤٦)

ويرفض النسر ان يعيش كالطيور الصغيرة والضعيفة، حياة مذلة ومهينة. إن النسر الذى خلق ليحلق فى الأعالى ويمخر عباب السماء، عاكسه القدر وخالفه الحظ هذه المرة وأنزل به من الأوج والسماء إلى الحضيض، بحيث أنه يضطر لخوض منافسه مع الطيور التافهة من أجل سد رمقه. لكن غروره وكبريائه يمنعانه من الاستسلام لهذه الحقارة والمذلة. وبالتالى فان النسر، يصعد بجسمه النحيف والواهن إلى الأعالى ليستسلم فى النهاية للموت بعزة وكبرياء، لأنه يفضل الموت نسرا على العيش كطائر صغير وذليل. (عبّود، ١٩٤٨م: ٢١٣؛ الدهّان، ١٩٦٨م: ٣٥٩)

لكن بيت القصيد والمنعطف، يكمن فى بيته الأخير؛ حيث يرفع الشاعر القناع عن وجهه ويسأل النسر الباطنى، هل لدى القدرة مثلک أن أعود إلى ذروة العظمة والشموخ؟ وكأنه يبحث فى قناع النسر عن ردّ لِقدره. (الموسى، ٢٠٠٦م: ٣٨٤؛ ابن الوليد، ٢٠٠٦م: ٤١١؛ الدهّان، ١٩٦٨م: ٣٥٩)

إن اعتماد النسر كرمز للقوة والغرور، يعد بلا شک أفضل رد للشاعر على هذا السؤال، لأن الشاعر كان يؤمن بأنه قادر على مواجهة التحديات السائدة وإن هذا القناع سيجعله بلا شک يكابد من أجل بلوغ القدرة على نيل الأهداف السامية. لذلک فإن النسر الموجود بداخل الشاعر يجب أن يتحرک إيمانا منه بقدراته وطاقاته، من الداخل ليستعيد مجددا مجده الماضى.

وحاول الشاعر فى أوصافه، خلق صور حية وفاعلة فى غاية اللطافة والجمالية ومن خلال اعتماد أسلوب ممتع، الصور التى تمتزج بقوة الخيال لدى الشاعر وتنتقل إلى القارئ عن طريق اللفظ والموسيقى والصورة. (محبک، ٢٠٠٦م: ٣٠٤؛ عثمان، ٢٠٠٣: ١٦٧) واظهر الشاعر فى قصيدته هذه براعته فى إنتاج المعانى الجديدة وإبداع الصور المفعمة بالحركة وتبيان أظرف وأدقّ الحالات الروحية. (الصالح، ٢٠٠٦م: ١٦٩؛ الدقاق، لاتا: ٤٣٠)

وشبه شوقى ضيف، أوصاف أبوريشة بلوحة تحوى خطوطا وظلالا من الألوان، ويقول إن هذه الخطوط والألوان هى نفس التشبيهات والاستعارات التى يستخدمها الشاعر لوصف نفسه واعتمادا على الخيال الممزوج بروح الحياة.

تحليل مسهب لقصيدة النسر

إنَّ النسرَ طائرٌ يحب العيش فى الأعالى والذرى، ولايحبذ التواجد عند سفوح الجبال. ولذلک فهو يعتبر منذ العصر الجاهلى ولحد الآن رمزا للأوج والكبرياء وطول العمر. (الموسى، ٢٠٠٦م: ٨٣؛ دندى، ١٩٨٨م: ٧٣)

ويرسم الشاعر فى هذه القصيدة لوحة عن هبوط النسر، الذى كان يعيش على قمة الجبل لكنه مضطر الآن لمغادرتها والنزول إلى سفح الجبل، حيث تعيش الطيور الضعيفة والجشعة والقمامة. وفى اللوحة التى يرسمها الشاعر، المكان: سفح الجبل، بطل القصة: النسر، أعداؤه: الطيور الجشعة التى تعتاش على القمامة والجيف.

أصبحَ السفحُ ملعباً للنسور فاغضبی یا ذری الجبال وثوری

(أبوریشة، ۱۹۹۶م: ۱۵۸)

لقد أصبح سفح الجبال ملعبا للنسور، ویدعو الشاعر قمم الجبال إلی أن تثور.لأن مکان النسر فی المرتفعات، لا الأماکن الواطئة والمنخفضة. الآن حیث أصبح القضاء والقدر هو المتحکم واستسلم النسر له، فمن حق قمة الجبل أن تثور وتتمرد علی هذا الوضع. ویشبه الشاعر السفح بملعب للنسور، فی حین أن هذا المکان لایتناغم مع طبیعة النسر لأن ملعب النسر فی الذری لا فی السفوح. (ضیف، ۱۹۵۹م: ۲۳۰) یتناول أبوریشة أوضاع المجتمعات العربیة من خلال الإشارة إلی التحول الذی طرأ علی حیاة النسر.فی تلک الفترة التی کانت تخضع هذه المجتمعات للاستعمار وفقدت علی أثره قوتها وعزتها وهوت من مکانتها الرفیعة. (محبک، ۲۰۰۶م: ۱۱۵)

ویشبه الشاعر من خلال استعمال الاستعارة المکنیة، القمة بالإنسان ویدعوه للثورة والتمرد علی هذا الواقع.ومن هذا المنطلق یتحول النسر من جهة إلی رمز لأوضاع المجتمع الذی کان یعیشه الشاعر، ومن جهة أخری إلی رمز لشخصیة الشاعر نفسه وکذلک رمز للدول العربیة التی فقدت کبریاءها وشموخها. (دندی، ۱۹۸۸م: ۱۸۲) ویری نظام طهرانی وواعظ أنّ الشاعر اعتبر الجبل کنایة عن الوطن والقمة کنایة عن کبار رجالات الوطن والنسر کنایة عن أبناء الوطن.والآن حیث أصبح أبناء الوطن ضعفاء، فإن من حق قادة الوطن أن یثوروا ویحتجوا. (نظام، ۱۳۸۳ش: ۳۱۵)

واطرَحی الکبریاءَ شِلواً مدمّی تحت أقدامِ دهرکِ السکیر

(أبوریشة، ۱۹۹۶: ۱۵۸)

ویتوجه الشاعر إلی القمة ویطالبها برمی جسد النسر إلی الأسفل.والآن حیث أصبح النسر مدمی وجریحا بسبب هذا السقوط وأصبح لایتحلی بالکبریاء والشموخ، فالأفضل أن یسحق تحت أقدام الدهر.واعتبر الشاعر فی هذا البیت، الکبریاء کنایة عن النسر وشبهه بالکبریاء من خلال استعمال الاستعارة المصرحة والإشارة إلی قرینة "شلوا مدمی". ویصف أبوریشة الدهر بالسکیر وهو مؤشر علی شعوره تجاه الدهر، الدهر الفاسد شأنه شأن الإنسان السکیر والمنفلت والمسبب للفساد والفوضی.ومن جهة أخری فإن هذا التعبیر هو کنایة عن تفاهة الدهر وعدم مقدرته علی التوجیه والقیادة.إن الشاعر یعطی فی الحقیقة من وراء هذا القناع، صورة عن أوضاع مجتمعه ومسؤولیه. (محبک، ۲۰۰۶م: ۱۱۵)

إنَّ الشاعر إذ یضفی الشخصیة علی الدهر ویستخدم الاستعارة المکنیة، یشبهه بالإنسان السکیر، ومن ثم یشطب المشبه

به ويذكر ملزوماته أى "أقدام وسكير"، ليرسم صورة عن الكبرياء والسمو المهدورين.الكبرياء الذى أصبح الآن مسحوقا وممزقا تحت أقدام الدهر.وينقل أبوريشة من خلال هذه الصورة إلى القارئ شعورا ملؤه المرارة والعذاب بسبب هبوط النسر. (الصائغ، ١٩٩٧م: ١٠٨) ومن ثم يتذكر الشاعر الماضى التليد للنسر ويقول:

إنه لم يَعد يُكحّل جِفن النجم تيهاً بريشهِ المنثور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ١٥٨)

لقد كان النسر يعيش فى الماضى على القمم وكانت مكانته رفيعة بدرجة أنه كان يكحل جفون النجوم بجناحه.وهنا يشير الشاعر إلى أمجاد النسر السالفة، ويشبه النجوم بالفتيات الشابات والريش الأسود للنسر بميل المكحلة. (الصائغ، ١٩٩٧م: ١١٠) من ثم يزيد من جمالية التشبيه من خلال حذف المشبه به وذكر قرينته "يكحل"، أن هذا البيت يشير إلى زمنين: الأول الزمن الماضى الذى كان مبعث فخر واعتزاز للنسر والآخر الزمن الحالى الذى يعيشه النسر بخيبة أمل ومذلة. (محبک، ٢٠٠٦م: ٣٠٨؛ دندى، ١٩٩٨م: ٧٣)

وقد آن أوان الوداع ويضطر النسر بحيرة وذهول لهجر وكره ووداع داره.

هجرَ الوكرَ ذاهِلا وعَلى عينيه شئ من الوداع الأخير

(المصدر نفسه: ١٥٩)

ويهجر النسر وكره بذهول وتتضح فى عينيه آخر ملامح الوداع، من دون أن يدرى المصير الذى ينتظره.إن الشاعر ومن خلال الإفادة من صناعة التشخيص، يشبه النسر بالإنسان، ويعطى من خلال حذف المشبه به وذكر ملزوماته أى "ذاهلا" و"الوداع الأخير" وفى إطار الاستعارة المكنية، صورة عن غاية الحزن والإحباط الذى ينتاب النسر.ينقل الشاعر هذا الشعور إلى القارئ من خلال عبارة "وعلى عينيه شئ من الوداع الأخير" بظرافة خاصة.

والآن تتهاوى مواكب سحب من أفقها لوداع النسر:

تاركا خلفه مواكب سحب تتهاوى من أفقها المسحور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ١٥٩)

وقدم الشاعر صورة خيالية عن وداع السحب وبكائها.وفى هذا البيت إن تعبير "السحب تتهاوى" هو تعبير مجازى عن هطول المطر والمطر كناية عن انهمار الدمع.بعبارة أخرى فإن الشاعر يضفى هوية إنسانية على السحب ويشبهها بالإنسان، ويقدم من جهة أخرى هذا التشبيه فى إطار الاستعارة المكنية من خلال حذف المشبه به والاتيان على ذكر أحد ملزوماته أى "تاركا خلفه".

وفى النهاية فإن النسر يطوى جناحيه ويرمى بنفسه من أعلى القمة إلى الأسفل:

هبط السفح طاوياً من جناحيه على كل مطمح مَقبور

(المصدر نفسه: ١٥٩)

إن الهبوط إلى السفح يساوى تبدد آمال النسر وطموحاته.فهو يهبط فى مقبرة أحلامه، وإن تعبير "مطمح مقبور" هو كناية عن الطموحات التى لم تتحقق أى إنها تعنى أن أجله قد حان. (دندى، ١٩٨٨م: ٧٤)

ويستخدم أبوريشة فى هذا البيت، صناعة التشخيص والاستعارة المكنية، ليعتبر النسر إنسانا له آماله وأحلامه، إلا أن هذه الأحلام تبخرت وتبددت للأسف عند سفح الجبل.

وأصبح النسر هذا الطائر الجارح الحاد البصر والرفيع الطيران، لايملک الآن مخالب قوية ولا جناح يقوى به على الطيران والتحليق فى أعالى السماء، لأن تطورات الزمن، سلبتها كلها منه.لذلک فإنه يعيش فى غاية الضعف والوهن.الوهن قد نسل مخلبيه وأدمت عواصف الدهر منكبيه:

نسلَ الوهنُ مِخلبيه وأدَمت مِنكبيه عواصفُ المقدور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ١٦٠)

ويسعى أبوريشة من خلال جعل ضعف النسر ووهنه محسوسا – وهو أمر غير محسوس – لتشبيه النسر بالإنسان الذى يقتلع مخالب النسر.ويشبه الشاعر القضاء والقدر بعواصف الدهر، من خلال التركيب الإضافى "عواصف المقدور" الذى يندرج فى إطار المعنى التشبيهى (المقدور كالعواصف)، والعواصف والأحداث التى تداهم النسر وتقسو عليه وتجرح جسده.وقد وهن النسر الجريح، وأصبح يتلوى من الجوع لكنه مازال صامدا:

وقفَ النسر جائعاً يتلوّى فوق شلوٍ على الرّمال نَثير

(المصدر نفسه: ١٦٠)

وعلى الرغم من أن النسر الجائع، قادر على أن يتغذى على ما تبقى من الطيور التى يصطادها فى سفح الجبل ، لكنه لايفعل ذلک ويقاوم لكى لايقع فريسة للجوع.بلا شک فإن كبريائه الباطنى لايسمح له أن يفعل ذلک. (دندى، ١٩٩٨م: ٧٤)

إن عجاف البغاث والطيور الصغيرة والنحيفة التى تعيش فى سفح الجبل لاتسمح للنسر بأن يقترب من طعامها، من دون أن تدرى بأن النسر لايرغب أصلا بتناول طعامها.

وعِجافُ البُغاثِ تدفعهُ بالـ مِخلب الغضّ والجناح القصير

(المصدر نفسه: ١٦٠)

والنسر مضطر الآن لاحتمال هذا الوضع ، بحيث إن عجاف البغاث والطيور الضعيفة تمنعه من الاقتراب مما تبقى من

الطعام.فيصف الشاعر المشهد كما هو، وصفا نقليا.حيث يصف المشهد بشكل طبيعى ومن دون اقحام عنصر الخيال، كما يستخدم عدة تركيبات كنائية مثل "المخلب الغض" و"الجناح القصير"، فالتركيب الأول هو كناية عن عجز الطيور التى تعيش فى سفح الجبل وضعفها والتركيب الثانى هو كناية عن ضعفها وعدم مقدرتها على التحليق فى أعالى السماء. (الصائغ، ١٩٩٧م: ١١٠)

ويواصل الشاعر وصف سفح الجبل والطيور التى تعيش هناك ويعطى صورة عن المشهد كما يلى:

فتبارَت عَصائبُ الطير ما بين شَرودٍ من الأذى ونَفور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ٢٣٥)

وتصطدم الطيور فى أسفل الجبل ببعضها البعض من الخوف وتغادر المكان وهى مفزوعة.وكأنها تنوى التبارى مع بعضها البعض للهروب والتفرق.ومن أجل رسم صورة عن مشهد هروب الطيور الموجودة فى أسفل الجبل، يشبه الشاعر الطيور بالأشخاص الذين يتبارون مع بعضهم البعض وذلک فى إطار الاستعارة المكنية ويقوم من خلال حذف المشبه به وذكر أحد ملزوماته أى فعل "تبارت" وهو كناية عن الهروب السريع فينسب الشاعر ذلک إلى الطيور الضعيفة والهاربة.

ومن ثم يناشد الشاعر، الطيور الصغيرة بألا تخاف من النسر وألا تهرب منه، لأنه لا مبرر للخوف، فهذا النسر لم يعد ذلک الطير القوى الذى كانت تحسبه:

لاتطيرى جوّابَة السَّفح فالنسر إذا خبّرتِه لم تطيرى

(المصدرنفسه: ١٦٠)

ويستخدم الشاعر فى هذا البيت الاستعارة المكنية ليشبه الطيور التى تعيش فى سفح الجبل بالإنسان ويقول لها من خلال حذف المشبه به وذكر أحد ملزوماته أى "خبرت" أنه إن تبلغتى بأحوال النسر، سترين بأنه لم يعد ذلک الطائر الجارح القوى، لذلک لاتقلقى ولاتهربى منه.

وعندما يرى النسر هذه المذلة والاحتقار من الطيور الصغيرة والضعيفة، يصاب بصدمة ويهتز:

فَسرت فيه رعشةً من جنون الكبر واهتزَّ هزّة المقدور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ١٦١)

إنّ النسر – طائر المرتفعات – يشهد الآن فى هذا المكان السحيق مشاكسة الطيور القمامة ولايطيق مثل هذا المصير. (موسى، ٢٠٠٦م: ٣٨٣) لذلک تسرى فيه رعشة من جنون الكبر.ويشبه الشاعر فى هذا البيت رعشة النسر برعشة الإنسان المصاب بالبرد وذلک من خلال استعانته بصناعة التشبيه.ومن ثم يشبهه بالإنسان من خلال إضفاء الشخصية

على النسر وحذف المشبه به وذكر أحد ملزوماته أى "رعشة من جنون الكبر" على شكل استعارة مكنية.ويعطى الشاعر من خلال هذه الرسوم البيانية صورة عن غضب النسر من سلوكيات الطيور الضعيفة. (الصائغ، ١٩٩٧م: ١١١)

وبناء على ذلک يقرر النسر العودة ثانية ليتبوأ مكانته السابقة:

ومضى ساحبا على الأفق الأغبر انقاض هيكل منخور

(المصدر نفسه: ١٦١)

والآن يجهز النسر نفسه للموت لكن ليس فى السفح بل على قمة الجبل، ذلک الوكر الرفيع حيث كان بيته سابقا.وعلى الرغم من جسده الواهن وهيكله المنخور، فإنه يسحب نفسه على الأفق الأغبر.

ويعتبر الشاعر فى هذا البيت مسار الحركة من الأسفل إلى الأعلى من خلال استخدام مفردة "ساحبا".ويظهر بأن النسر غير قادر على الطيران، لكنه وحفاظا على عزته وكرامته، يسحب هيكله المنخور إلى أعلى القمة، ليستعيد مجددا كرامته المهدورة ويكافح الذل بشجاعة ليموت بعزة وكرامة.ويصبح لون السماء مغبرا فى عيون النسر وهذا مؤشر على شدة الألم والمعاناة التى يمر بها النسر.

وهوى جثة على الذروة الشماء فى حضن وكره المهجور

(أبوريشة، ١٩٩٦: ١٦٢)

وتهوى جثة النسر على الذروة الشماء فى حضن الوكر المهجور.ويعود إلى بيته.ويرى "محبک" أن النسر يسحب بنفسه إلى الأعالى ويرمى بنفسه من هنالک على القمة لينتحر ويبرهن بأنه يحب أن يكون دائما فى المرتفعات لا فى الأماكن السحيقة. (محبک، ٢٠٠٦م: ٣٠٢) ويظهر الشاعر للقارئ ضمن هذه الأبيات بأن النسر يكابد العذاب والألم من أجل استعادة مجده المهدور ويقاوم حتى الرمق الأخير. (ضيف، ١٩٥٩م: ٢٤٠) وفى هذا البيت فإن مفردة "حضن" هى كناية عن أنه عندما يموت النسر فى وكره، كأنه يموت وهو فى حضن أمه، لأنه عندما يستقر الطفل فى حضن أمه يشعر بالأمان والطمأنية، ويخلق الشاعر هذا التشبيه الرائع، مستفيدا من التجسيد والاستعارة المكنية. (الصائغ، ١٩٩٧م: ١١٢)

ومع التذكير المجدد بأبيات القصيدة ومقارنتها بهذا البيت، نستنتج بأن هبوط النسر كان فى البداية ناجما عن العجز والاضطرار أمام القدر.إلا أن النسر يرضخ هذه المرة ليموت بنفسه. (محبک، ٢٠٠٦م: ٣٠٤)

كما أنّ نسر أبى ريشة، استطاع فى ذروة الضعف والوهن المميت، التقاط أنفاسه واستعادة حياته المهدورة ليعود إلى القمة.إن هذه الظاهرة لاتتطابق مع الواقع وبعبارة أخرى فإن الشاعر، يصل فى داخله من العالم الحقيقى إلى العالم المثالى والأسطورى. (العظمة، ٢٠٠٦م: ٥٠٠) وفى الختام ينهى أبوريشة قصيدته فى إطار سؤال يطرحه على النسر

فيقول:

أيها النسر هل أعود كما عدت أم السفح أمات شعورى

(المصدر نفسه: ۱۶۲)

ويسأل الشاعر النسر، هل إنه – أبوريشة – سيستعيد مجده الضائع؟! وهذا السؤال يساوره الشک من أن هل الشاعر سيستعيد مجده السالف أم كلا؟ لأنّ السفح أو المجتمع و الظروف الراهنة فيه قد أمات عقله وشعوره.

ويستفيد الشاعر فى هذا البيت من الاستعارة المصرحة، ليشبه عقله وشعوره بالنسر والآن حيث مات النسر الحقيقى، فهل النسر بداخل الشاعر قد مات أيضا؟ بعبارة أخرى هل المكانة والطقوس الدنيئة ستؤدى إلى وفاة مشاعر الشاعر؟

والملفت فى أشعار أبوريشة، أنه إضافة إلى الوحدة الموضوعية، فإن الوحدة العضوية مشهودة فيها أيضا.ويتجلى فى هذه القصيدة انسجام معانى الأبيات والفكر بصورة مترابطة وموحدة، فى البيت الأخير منها.بعبارة أخرى إن بيت القصيد، مؤشر على الفكر العام للشاعر ويحاول الشاعر فى قناع النسر تشبيه ذاته بذات النسر ويقرر مصيرا لنفسه يماثل مصير النسر. (ابن الوليد، ۲۰۰۶م: ۴۱۱؛ الموسى، ۲۰۰۶م: ۳۸۴)

النتيجة

ونَصِل من خلال دراسة قصيدة النسر إلى هذه النتيجة بأن أبوريشة يبين مشاعره وقناعاته تجاه العالم والحياة من خلال الإفادة من عنصر الخيال وتقنية القناع وصناعة التشخيص فى إطار قصة شعرية.ويميط اللثام عن تطلعاته وهواجسه وتطلعات وهواجس شعبه ووطنه.ويسعى فى تجربته المزج بين اللفظ والموسيقى مع الخيال وخلق مشاهد حية وفاعلة.ولذلک فهو يعتبر من أبرز الشعراء الرمزيين فى الشعر العربى المعاصر.على الرغم من أن الأجواء التى تسود قصيدة النسر، رومانتيكية، إلا أن الشاعر لم يحصر قصيدته فيها بل يستفيد أيضا من الأساليب الحديثة.وأهمية استخدام تقنية القناع من قبل الشاعر، تكمن فى أوانها المبكر ۱۹۳۸م فى الأدب العربى.

المصادر والمراجع

ابن الوليد، يحيى. ۲۰۰۶م. قـصيدة القناع، قراءة فى شعر عمر أبوريشة. الشاعرالعربى عمر أبوريشة. مجموعه مقالات وقائع. الندوة العربية. نزيه خورى. دمشق: لانا.

أبوريشة، عمر. ۱۹۹۶م. ديوان عمر أبوريشة. بيروت: لانا.

خليل، إبراهيم. ۱۹۹۷م. عمر أبوريشة صور و ملامح من حداثة النص. بيروت: الحلقة النقدية فى مهرجان جرش

الخامس عشر، الشعر العربی فی نهایة القرن.
الدقاق، عمر. لاتا. فنون الأدب المعاصر فی سوریة. بیروت: دار الجیل.
دندی، محمد اسماعیل. ۱۹۸۸م. عمر أبوریشة دراسات فی شعره و مسرحیاته. دمشق: لانا.
الدهّان، سامی. ۱۹۶۸م. الشعراء الأعلام فی سوریة. بیروت: دار العلم للملائیین.
الصائغ، وجدان عبدالاله. ۱۹۹۷م. الصورة البیانیة فی شعرعمر أبوریشة. بیروت: لانا.
ضیف، شوقی. ۱۹۵۹م. دراسات فی الشعر العربی المعاصر. مصر: دار المعارف.
عبّود، مارون. ۱۹۴۸م. المجددون والمجترون. بیروت: لانا.
عثمان، هاشم. ۲۰۰۳م. عمر أبوریشة. آثار مجهولة. دمشق: لانا.
العظمة، نذیر. ۲۰۰۶م. البتروس تشارلز بودلیر و نسر عمر ابو ریشة. دمشق: مقالات الندوة العربیة.
فرضی، محمدرضا. ۱۳۹۰. «بررسی تطبیقی حبسیات ملک الشعرای بهار و ناظم حکمت». فصلنامه مطالعات ادبیات تطبیقی. سال پنجم. شماره ۱۸. صص ۱۱۱-۱۳۴.
محبک، أحمد زیاد. ۲۰۰۶م. عمر ابو ریشة والفنون الجمیلة. دمشق: لانا.
الموسی، خلیل. ۲۰۰۶م. الإیقاع السردی فی قصائد عمر ابو ریشة. دمشق: مقالات الندوة العربیة.
نظام تهرانی، نادر وسعید واعظ. ۱۳۸۳ش. شذرات من النظم والنثر فی العصر الحدیث. تهران: منشورات جامعة العلامة الطباطبایی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی